# الخطاب ومفهوم النص في تأويلية بول ريكور

Speech and the concept of text in the interpretation of « Paul Ricœur »

**الدكتورة: حبيبة تيرس***

**جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف-(الجزائر)**

تاريخ الإرسال: 2019/03/09 تاريخ القبول:2019/05/10 تاريخ النشر: 2019/06/03

**ملخص:**

نحاول في هذه الدراسة التطرق إلى الخطاب ومفهوم النص في سياق التأويل لدى " بول ريكور"، وذلك من خلال الغوص في فلسفته التي فتحها على مختلف الجهات الفكرية، والمتمثلة في حواره مع البنيويين، والسيميائيين، واللغويين وغيرهم من المفكرين الذين تواصل معهم "ريكور"، من أجل مناقشة العديد من القضايا الفكرية، ولعل مسألة النص هي من أهم القضايا التي توقف عندها الفيلسوف لما لها من أهمية بالغة في الفكر التأويلي، باعتبار النص وحدة أساسية في مجال الخطابة بشكل عام، فكانت دراسة النصوص بالنسبة لـ "ريكور" بمثابة المقصد المعرفي، الذي يجعلنا نكتشف خبايا اللغة وتعددية المعنى الذي يطرح داخل النص، وهذا ما تُظهره مختلف القراءات المتعددة، فقد تختلف كل قراءة لنص ما عن قراءة أخرى لهذا النص، والتأويل هو الفن الذي يساعدنا على فك رموزها.

**الكلمات المفتاحية:** النص، الخطاب، التأويل، الكتابة، القراءة.

***Abstract**:In this study, we deal with the discourse and the concept of the text in the context of Paul Ricoeur's interpretation, by delving into his philosophy on various ideological fronts, in his dialogue with the structuralists, Semites, linguists and other thinkers with whom Ricor, In order to discuss many of the problems of intellectual, and perhaps the issue of the text is one of the most important issues that stopped the philosopher because of its importance in the thought of interpretation, as the text is a basic unit in the field of public speaking in general, the study of texts for the «Recor» as the purpose of knowledge, Which makes us discover the hidden language and prepare the meaning that arises within the text, and this is shown by the various multiple readings, we all read the text but not the same other reading of this text, the interpretation is different art that helps us to unlock its codes*

***key words**: Text, speech, interpretation, writing, reading*

## 1. مقدمة:

إن الحديث عن النص باعتباره مادة معرفية هو حديث عن مفهوم صعب، لا سيما عندما يتعلق بمفاهيم أو مصطلحات أخرى كمفهوم التأويل، الذي يعد من أعقد المباحث الفلسفية التي تحيل إلى الجدل والنقاش بين مستويات الخطاب الفلسفي في أشكاله المتعددة، من ابستيمولوجيا وفينومينولوجيا، وسيميائيات وغيرها من هذه الأشكال التي ارتحل معها "بول ريكور" من خلال مشروعه الهرمينوطيقي، والذي تجسّد في الحوار المتعدد الجهات مع البنيوية، وانفتاحه على التحليل النفسي، وقطعه للمسافات الطويلة والشاقة بمساءلة المناهج ومناقشتها، قصد توظيفها وتمحيصها، حتى سميت تأويليته بتأويلية الانعطاف، لاختياره لهذه الطريقة الملتوية والمنعرجة، وعزمه على إظهار قوة الفلسفة في لا فلسفتها، أي الأفكار والمفاهيم الخارجة عنها، وهذا ما يستدعي القراءة والتأويل.

فهرمينوطيقا "بول ريكور" تدعونا إلى اللجوء إلى النص باعتبارها طريقة تحيلنا إلى قراءة نصوص أخرى، ومنه محاولة الوقوف على موضوع النص وفق ممارسة تأويلية نستكشف من خلالها مفهوم النص من خلال المؤلف الذي هو كاتب لهذا النص من جهة، والقارئ الذي يعتبر كذلك مؤولا لهذا النص من جهة أخرى، ومن ثم كيف ينظر "بول ريكور" إلى النص والخطاب؟ وما هي تمظهراته داخل الفضاء التأويلي؟.

**2. في ماهية الخطاب:**

يعد الخطاب "Le Discoure" من المفاهيم التي تعددت مجالاتها واستعمالاتها بشكل مختلف وذلك من العام إلى الخاص وفق مظاهر متباينة، حيث تعرفه "سارة ميلز" على أنه "محادثة خاصة ذات طبيعة شكلية، تعبير شكلي ومنسق عن الأفكار بالكلام أو بالكتابة، يشمل تعبيرا عن الأفكار في شكل خطبة دينية أو رسالة بحث...قطعة أو وحدة من الكلام أو الكتابة"[(1)] وهنا تظهر العودة بالمفهوم إلى أصوله ومصادره الأولى في الكلام والتعبير عن القصد، وقد لا تظهر دلالاته إلا من خلال المجالات التي يستعمل فيها هذا المفهوم وهذا ما يميز استعمالاته في العلوم الإنسانية من علم الاجتماع، بالحديث عن المواضيع الاجتماعية عن مواضيع الإعلام والإشهار وغيرها.

إلا أن ذلك لا يمنع ظهور المصطلح في الاستعمالات الخاصة مثل اللسانيات وذلك "بمقارنته بمصطلح النص، حيث يركز مجال تحليل الخطاب Discours analysais على بنية اللغة المحكية المستعملة في ظروف طبيعية كما نجد ذلك في بعض الخطابات كالمحادثات والاستجوابات والتعاليق، بينما يركز مجال تحليل النص Texte analysais على بنية اللغة المكتوبة، ومن الأمثلة على ذلك المقالات واللافتات، وإشارات المرور، وفصول الكتب"[(2)]. كما أن هذا التمييز ليس محدوداً، وإنما هناك استعمالات أخرى متعددة لهذه المصطلحات في مجال اللغة والكلام، بما يضمن استمرار هذا النوع المعرفي من الظهور في مجالات المعرفة الإنسانية.

وتظهر علاقة النص بالخطاب من خلال تحديد هذه المفاهيم، لاسيما مفهوم الخطاب "فإن عرّفناه باعتباره كل مجموعة ملفوظات لمتلفظ موسومة بوحدة غرض شاملة، قلنا إن في إمكان الخطاب إمّا أن يتطابق مع نصّ (وهي الحالة عند التّواصل الكتابي حيث تتطابق الوحدة التّواصليّة والوحدة الاغراضيّة عموما) وإمّا أن يكون مكوّنا من عدّة نصوص"[(3)]. فغرض الخطاب بما هو ملفوظ يحاول تحقيق ما يحمله النص، وبالتالي تحقيق غرض النص، وهذا ما يجعله في صورة مطابقة له.

ولعل "ميشال فوكو" من أهم الذين تطرقوا لمفهوم الخطاب بشكل كبير من خلال جملة المواضيع التي تناولها كـ"السلطة"، و"المعرفة" وغيرها، والتي تشكل بدورها لمفهوم الخطاب الذي تحدث عنه "فوكو" في علاقته بالسياسة التي ينبغي عليها حسبه أن تكتسب فيه الطابع السليم، إذ يقول: "يبدو أن الخطاب في ظاهره شيء بسيط، لكن أشكال المنع التي تلحقه تكشف باكراً وبسرعة عن ارتباطه بالرغبة وبالسلطة. وما المستغرب في ذلك ما دام الخطاب - وقد أوضح لنا التحليل النفسي

ذلك - ليس فقط هو ما يظهر أو يخفي الرغبة، لكنه أيضاً هو موضوع الرغبة. وما دام الخطاب - والتاريخ ما فتئ يعلمنا ذلك - ليس فقط هو ما يترجم الصراعات أو أنظمة السيطرة، لكنه هو ما نصارع من اجله، وما نصارع به، وهو السلطة التي نحاول الاستيلاء عليها"[4].

فالخطاب يصبح وسيلة لبلوغ الأهداف، بل هو الهدف نفسه حسب "فوكو" لأنه هو الذي يمنحنا الكلام عن الأشياء والقدرة على التعبير عنها، ومنه البحث عن المعنى داخل هذا الخطاب، فالنصوص الأصلية تتكرر من خلال الشروحات التي تقدم لها على شكل نصوص أخرى، وبالتالي تتشكل معها خطابات جديدة تمتلك معاني خفية، وجب شرحها وفهمها، أي تأويلها من جديد. لأنه "ليس إلا لعبة، لعبة كتابة في الحالة الأولى، ولعبة قراءة في الحالة الثانية، ولعبة تبادل في الحالة الثالثة، وهذا التبادل، وهذه القراءة، وهذه الكتابة، لا تستعمل أبداً إلاّ العلامات"[5]. مما يجعل الخطاب على نحو من المعرفة التي تحمل دلالات تختفي وراء الكتابة، على أن القراءة هي التي تفتح المجال لهذا النوع من أشكال التعبير بأن يتفاعل مع الكلمات.

**3 . مفهومية النص عند "بول ريكور":**

يظهر النص في مجال الدراسات الأدبية واللسانية على أنه من المفاهيم التي لم يتم تحديدها بصورة واضحة، "فبعضهم يقصر إجراءه على الخطاب المكتوب بل على الأثر الأدبي، ويرى فيه آخرون أنه مرادف للخطاب"[6]. كما أنه لا يقتصر على هذا الحد، فهو يشمل أيضا مجال السيميائيات كالنصوص الموسيقية وغيرها، فهو كل بنية كلامية مكتوبة أو منطوقة تؤدي وظيفة تواصلية معينة.

إلا أنه مع "بول ريكور" شهد هذا النص رؤية مفهومية خاصة، فقد اعتبره وحدة أساسية من وحدات الخطاب، "فهو يقسم الخطاب إلى وحدات: الكلمة، الجملة ثم النص، وهنا يتساءل "ريكور" نفسه ما هو النص؟، ليجيب في نفس الوقت على أن كلمة نص تطلق على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة"[7]، وهنا يمكننا القول من خلال هذا التعريف أن "بول ريكور" يستبعد الخطابات الغير مكتوبة عن النص، أي أن الكلام المنطوق لا يعبر عن النص، وإنما هو محاورة بين شخص وشخص آخر، أو بين جماعة ما، وبالتالي يظهر هناك تمييز بين الكلام والكتابة، وإذا كان الكلام أسبق من الكتابة فإن هذه الأخيرة تحفظ هذا الكلام من خلال تدوينه، ومن ثم تحفظ وجوده وإستمراريته حتى يتم استخدامه، وعليه فهي العامل الأساسي الذي يضمن وجود هذه النصوص المختلفة، سواء كانت عبارة عن حكايات أو قصص أو أشعار وغيرها من هذه النصوص بتعدد ألوانها.

ويظهر النص بشكل عام بعدة أنواع منها: النص المترابط أو المتعالق وهو النص الخاص بالمجالات الالكترونية كالحواسيب، ويعد من أعقد النصوص وأكثرها تطوراً، نظراً لاستعمالاته المختلفة في العديد من المجالات المعرفية، وكذا سهولة تناوله بين الكاتب وقراءه، كما هناك النصوص المفتوحة والنصوص المغلقة والتي نجدها مع "امبرتو ايكو"، وكذا النص المقروء والمكتوب مع "رولان بارت" مما يجعل من النص يمتاز بخاصية التنوع، وذلك بتعدد السياقات التي يظهر من خلالها[8]،

وهذا ما يجعله يتعرض لتأويلات مختلفة لما يحمله من تلك الأشكال، الأمر الذي يحيله إلى طرح المعاني والدلالات داخل المجال الهرمينوطيقي، الذي يسعى من أجله "بول ريكور" أن يكون فضاءً لغوياً يستطيع من خلاله فتح الهرمينوطيقا على مجالات الفكر المتعددة، وفق مستوى الخطاب الفلسفي المؤسس لها.

**4 . النص بين جدل الكتابة والقراءة عند ريكور:**

إن مجال الكتابة هو ما يشكل فعل ولادة النص عند "بول ريكور"، "فهذا التثبيت أمر مؤسس للنص ذاته ومقوم له"[9]، فمن خلال التعريف الذي يقدمه "ريكور" بأن النص هو خطاب وقد يكون مكتوبا، ففي هذه الحالة فهو نص من النصوص، وبالتالي وجب فهمه كنص لما يحمله من معاني وتساؤلات مختلفة، "وبذلك فالتأويل هو محاولة للإجابة على السؤال الذي يطرحه علينا النص، وفهم النص هو فهم للسؤال، وهذا لا يتحقق إلا بفهم أفق المعنى، أو أفق التساؤل الذي يمكن من خلاله تحديد المعنى، والنص هو جواب عن سؤال يطرحه موضوع النص وليس المؤوّل"[10]، حتى يتبين القصد الذي من أجله تستخدّم النصوص، على أنها تطرح مواضيع وجب التطرق إليها ومعرفتها بأي شكل من الأشكال.

ولعل ارتباط "ريكور" بالنص المقدس أي النص الديني هو ما جعله يطرح تلك التجربة التأويلية في علاقتها بالنص ، ومن ثم أصبح تعامله مع ذلك تعاملا مع القراءة الفلسفية لهذه النصوص وفق منهجية ريكورية خاصة، بل هو من أراد طرح " خطاب فلسفي خاص"[11] وهذا ما يجعله يعي خصوصية أي نص وجب التعامل معه.

وقد ربط "بول ريكور" التأويل بالنص لأن هناك علاقة بين القراءة والنص، "فالنص يجعل المؤلف يصل إلى القارئ، كما يجعل القارئ يصل إلى المؤلف "[12]. وقد تختلف كل قراءة لنص ما عن قراءة أخرى لهذا النص، بحيث يقول لنا أن التأويل هو فن التطرق إلى النصوص في سياق مخالف لمؤلفيها، أي أن النص يحمل عدت قراءات وتأويلات، فظهور الكتابة يفسره "ريكور" بوجود تغير في العلاقة بين العبارة والخطاب، أي أن الأمر كان ينطلق من الخطاب، أو الكلام الشفهي ثم الكتابة فالنص، أما الآن فهناك قصد فكتابة فنص، ومن ثم تظهر وظيفة القراءة في هذه النصوص بعد ما كانت هناك علاقة ووجود بين المخاطِب والمخاطَب.

فالكتابة هنا توضح لنا هذه العلاقة الجديدة بينها وبين القراءة، حيث يبين لنا "ريكور": "أن العلاقة بين كتب وقرأ ليست حالة خاصة منبثقة عن العلاقة بين تكلم وأجاب، فهي ليست علاقة تخاطب (محادثة) ولا تتوفر فيها وضعية الحوار. فلا يوجد حوار بين القارئ والكاتب من خلال عمله الفني، ليست القراءة فعلاً حوارياً، لأن الحوار هو تبادل للأسئلة والأجوبة"[13]، وهنا الكاتب لا يجيب القارئ، فهذا الأخير يكون غائبا لحظة الكتابة، والكاتب يكون غائبا لحظة القراءة، "لأن علاقة القارئ

بالكاتب من طبيعة مغايرة تماما"[14]، فالكتابة بنظر "ريكور" إجراء تبديل عن الكلام باعتبارها تعبيراً أو تسجيلاً مباشراً لذلك القصد، أو البنية لهذا الكلام ومن ثم تصبح الكتابة مصدر نص.

يذهب "ريكور" إلى القول بأن "الكتابة إجراء يشبه التلفّظ، لذلك يمكن القول بأنّ ما تثبته الكتابة هو الخطاب بوصفه نيّة القول. وأنّ الكتابة هي تسجيل مباشر لهذه النيّة، وهذا التحرّر لفعل الكتابة يعد بمثابة ميلاد النص "[15]. وبالتالي فالنص سيكون في شكل مخالف للكلام الشفهي أو الخطاب في نظر القارئ. "فالقارئ يمتلك فقط جدولا من الإمكانيات المحددة بدقة والمشروطة، بحيث أن الفعل التأويلي لا يفلت من مراقبة المؤلف"[16]. وهنا تظهر أهمية الكتابة كتعبير عن مقاصد المؤلف الذي هو بمثابة صانع النص، والذي ينكشف مع القراءة التي يحاول من خلالها القارئ الوصول إلى المعنى الخفي في هذه النصوص، ومن ثم يظهر عمل القراءة على أنه عمل التأويل في محاولة كشف الدلالات والمعاني التي تخبؤها الكتابة داخل النص.

أما في ما يخص الكلام المنطوق فهنا "يتجه المعنى المثالي لما نتلفظ به صوب الإحالة الحقيقية المتمثلة في عما نتكلم عنه"[17]. أي توجهنا هذه الإحالة إلى الإشارة التي نستعملها أثناء الكلام، لأننا أحياناً نتكلم عن شيء ما مع القيام بحركة أو إشارة ندل بها عن هذا الشيء و"بول ريكور" هنا لا ينفي الإحالة عندما تكون هناك إشارة، والتي تدل على الشيء الذي نتكلم عنه لأنه لا يمكن أن يكون هناك نص دون إحالة، هذه الأخيرة التي تتحقق وفق مهمة القارئ وعمل التأويل بالخصوص.

فمشروع "ريكور" كان يهدف إلى إقامة علم لتفسير النصوص يعتمد على منهج موضوعي صلب، لذلك اتجه إلى علم الدلالة واللسانيات، والإبستيمولوجيا والتحليل البنيوي، على ألا يكون حبيس انغلاق النص، وفي الكيفية المتعالية عن ذاتية المؤول وعن قصدية المؤلف في نفس الوقت، وهنا لابد من فهم النص، والفهم عند "ريكور" هو الإمساك بسلسلة من الدلالات الجزئية في فعل تركيب ككل واحد، أي أنه معنى شامل للموضوع، إلا أنه ارتبط عند "ريكور" بسياق الرمز قبل النص والفهم هنا يرتبط بنوعين من التأويل.

- تأويل استرجاعي: أي استعادة المعنى الأصلي للرموز من خلال تأويلها (الرموز الدينية الأسطورية).
- تأويل نقدي: يضعه موضع شك ونقد بالبحث عن أسبابه الخفية.

فالفهم عند "ريكور" لا يمر عبر تأويل الرموز فقط بل لقد وجد في النصوص الأنموذج الكامل للتأويل، فهو يؤكد على لا نفسانية الفهم بحيث لا يحصر بين القارئ والكاتب، لأنه قصد نفسي لا يمكن الكشف عنه بل بين خطاب النص وخطاب التأويل، كما أنه يرتبط بالمعنى الموضوعي للنص والعالم الذي يكشفه. لأن الفهم بالنسبة للمؤول هو تحديد المعنى الموضوعي للنص، "فلا ذاتية المؤلف ولا ذاتية القارئ هي النقطة المرجعية الحقيقية، وإنما النقطة المرجعية هي المعنى التاريخي نفسه بالنسبة لنا في الزمن الحاضر"(18).

إن التأويل يبحث في ثنايا النص عن حركة داخلية تنظم وتنسق الأثر، وعن طاقة هذا الأثر في سبق ذاته، أو الاندفاع خارج ذاته في سبيل إبداع عالم هو مادة النص، أو شيئيته وهذه الحركة المزدوجة الدينامية الداخلية والقصدية البرانية تؤسس ما يسميه "ريكور" (نشاط النص) أو العمل الفعلي للنص.

يقول "ريكور": "إن التأويل ليس أن نفهم النص أفضل مما أراد له صاحبه، أو يكون الفهم الذاتي أعمق وأنفذ من فهم المؤلف لنصه، وإنما متابعة هذا النشاط الداخلي والخارجي للنص عبر علاماته المنتظمة في عالمه، وقدرته على تشكيل فضاء تجد فيه الذات أو القارئ أشكال تنقيبه عن المعنى، وإنما سبره للدلالة أو العلامة، بهذا المعنى يتيح فهم النص إعادة تفسيره وتنظيم فضائه الدلالي"[19]. فـ"ريكور" يرفض تلك النظرة الدوغمائية التي تدعي امتلاك حقيقة النص، لأنه لا يوجد معنى حقيقي لنص ما بتعبير بول فليري.

**5 . الاستعارة كوحدة لبناء الخطاب داخل النص:**

لقد عرض "بول ريكور" في كتابه "الاستعارة الحية"[*] مفهوم الاستعارة في مستويات متعددة لاسيما في مجال الخطاب الفلسفي، حيث أخذت هذه الاستعارة في "التركز على انتقال وتوسيع معنى الكلمات"[20]. مما يجعلها تشكل النص من خلال الكلمات التي تتماثل بصيغة إستعارية في خطاب واسع ومتعدد، لأنها تعمل على "إعادة وصف الواقع من جديد من خلال أشكال الخطاب المختلفة كالحكاية والشعر والفلسفة"[21]. فقد كان الإنسان يتغنى بأشعاره التي تحمل جملة الكلمات التي يستعملها للدلالة على معاني الموضوعات التي تشملها القصيدة أو الحكاية، وفي التعبير عن كل ما يخطر له في حياته، حيث كان يستعملها بشكل مماثل قصد إعطاء طابع جمالي لموضوع القصيدة أو الحكاية، وكذا التعبير بأسلوب آخر يختلف عن الحقيقة اللغوية في الواقع.

فالاستعارة "تعّبر عن اطّراد لغوي يصاحبه اطّراد تصوري، يسمحان معاً بتكوين خطاب فيه تستشرف اللغة نفسها ويجد النسق التصوري فضاءاته الممكنة داخل سكن اللغة"[22]. فهي تعتبر عملية لغوية تساهم في توسيع مفردات اللغة وجعلها أكثر تعبيرا عن مختلف الأشياء التي تم اتخاذها بشكل استعاري، كما تقوم الاستعارة بطرح مجموعة من التصورات الجديدة داخل النص، فيكتسب بذلك معانٍ أخرى لم تكن من قبل.

لقد ارتبطت الاستعارة مع "بول ريكور" بالخطاب الفلسفي بشكل خاص فهي "ليست انحرافاً تصورياً وانزياحاً عن مطلب الحقيقة، كما هي مطلوبة بالعقل، بل هي من إنجاز العقل نفسه، وعلى هذا فإن الانزياح في اللغة لا ينعكس في العقل، لأنه انزياح زيادة وليس انزياح توهّم"[23]. فكل ما تطرحه الاستعارة يعد بمثابة تشكل جديد للمعنى بطريقة لغوية مماثلة، لأنها عبارة عن حاجة لغوية تعمل على تدعيم الخطاب الفلسفي بمعانٍ جديدة وبعبارات مختلفة.

وقد ظهر بعد كتاب "بول ريكور" (الاستعارة الحية) كتاب آخر لـ"مارك جونسون" و"جورج لايكوف" (الاستعارات التي نحيا بها) مما يعبر عن أهمية الاستعارة في المجال اللغوي اللساني، بالرغم من اختلاف وجهات النظر في هذا المجال، ف"بول ريكور" يحاول أن يطرح ذلك بنظرة فلسفية تأويلية، أما "لايكوف" و"جونسون" فقد حاولا النظر إليها "من زاوية نظر دلالية تتعلق بمحاولة محاصرة ظاهرة الاستعارة في الكلام اليومي، حيث تنتشر ألاف الاستعارات دون أن تجد النظرية التي تفحصها"[24].

فاللغة اليومية التي يتخذها الإنسان في التعبير عن أفكاره ورغباته هي لغة مليئة بالاستعارات، أي أنها لغة إستعارية وقد لا نستطيع الكشف عن صورها، لأن الاستعارة في هذه الصورة هي "حمالة أوجه، ولها صلة وثيقة بوجود الإنسان وكينونته من خلال سؤال المعنى المنفلت باستمرار"[25]. لأن ما يهم الإنسان في هذا المجال هو المعنى اللغوي والدلالي الذي تذهب إليه هذه اللغة المستعملة، دون النظر في الشكل الذي يرسمها. فالاستعارة "تعد جزءا من البنية التصورية للإنسان، إذ من خلالها يدرك الفرد العالم، ويتفاعل معه"[26].

لقد حاول "بول ريكور" التطرق إلى قضية الاستعارة في مجال اللغة من أجل كشف المعنى وطرح دلالته بشكل مختلف، حيث أخرجها "من التناول الإيقوني الجاف الذي جمدت فيه ضمن مباحث البلاغة الكلاسيكية"[27]. فأصبحت بعد ذلك تمثل صورة الخطاب الفلسفي في "استعانته بالاستعارة الحيّة"[28]، من خلال محاولة الابتعاد عن الأسس الميتافيزيقا التي انتقدها كل من "نيتشه"، و"هيدغر"، وبالتالي استبدال اللغة الميتافيزيقية باللغة الاستعارية، وذلك من أجل بناء لغة الخطاب الفلسفي.

**6. بول ريكور ومفهوم عالم النص:**

يذهب "بول ريكور" في تأويليته إلى مفهوم عالم النص من خلال "القطع مع البحث عن القصود والنيات المختفية خلف النص، وأن نتجه نحو الأشياء التي يقولها ونحو العالم الذي يفتح عليه، وبتعبير آخر فإن النص ينفتح على عالم أو عوالم متجددة للحياة ولا يحيل إلى قصود خفية. إن ضرب الوجود الذي ينتمي إليه العالم الذي يفتح عليه النص هو الإمكان أو الوجود الممكن، بما أنه يخضع لإمكان الاستعادة التأويلية المستمرة "[29].

فالنص إذن يندمج من خلال هذا العالم في عدت آفاق تجعلنا نتفاعل مع عملية القراءة التي تكشف عن الذات الإنسانية في تعاملها مع النص، "وفعل الكتابة الذي هو تثبيت مادي للخطاب هو شرط لظاهرة أساسية أعمق وهي استقلالية النص، وهذه الاستقلالية من عدة جوانب، فهي استقلالية تجاه قصد الكاتب، حيث يتحرر النص من قصد المؤلف، وهي استقلالية تجاه المشروطيات الاجتماعية والثقافية التي حكمت إنتاج النص، وهي استقلالية تجاه المتلقي أو القارئ" [30]، فبالنسبة لـ"بول ريكور"فإن النص بكل ما يحمله من أقوال لا يتطابق بالضرورة مع ما يقصده كاتبه، أي أن ما يقصده النص قد لا يقصده المؤلف، لذلك يكتشف المؤول الذات من جديد في عالم النص.

إن الأشياء متغيرة على الدوام وهي ليست دائما كما نراها، ذلك أن اعتقاداتنا وأفكارنا ليست متطابقة، ومن ثم فإن الجنوح إلى عالمية التأويل يقتضي إعادة بناء الرؤية النقدية على أساس "أن عالمية التأويل هي في الواقع، عالمية البعد الفلسفي وليس مجرد القاعدة أو الدعامة النظرية لعلوم الإنسان، يتعلق الأمر بتمديد آفاق التأويل كمنعطف حاسم في التراث الإنساني. عالمية التجربة التأويلية تعني أيضا تشكل التجربة الإنسانية في عالم أو فضاء التأويل، أي التأويل بوصفه الحقل أو الفضاء أو البعد الفني والتاريخي واللغوي"[31].

فالنص يعد مساحة هامة من المعرفة لما يحمله من أثقال ذلك الجهد الفكري والعمل الفلسفي في اشتغاله حول قضايا اللغة والتأويل، والخطاب وغيرها، وفي كل حالاته التي يظهر من خلالها، ومهما تعددت أنواعه فهو يحمل تلك البنية التركيبية التي تشكله، والتي من خلالها يتم شرحه وتفسيره، ولقد شكل النص نقطة الاهتمام بالنسبة لـ"بول ريكور" من خلال تركيزه على عملية تأويله، وهذا ما يظهر في فلسفته التأويلية التي اهتمت بالنصوص قصد معرفة استعمالاتها وكشف مضامينها، ومتابعة نشاطها، وعلاقة ذلك بالذات وما تتيحه من فضاءات متعددة من خلال التعامل مع هذه النصوص، لاسيما فضاء التأويل، باعتباره المجال القائم على شرح وتفسير النصوص.

يقودنا عالم النص إلى معرفة تشكلات هذه النصوص، وكيفية بناءها في مجالات الأدب والسيميائيات وغيرها من جوانب هذا الشكل المعرفي، مما يجعلنا نتساءل عن الأشكال التي تظهر بها في ساحة المعرفة التأويلية، وهذا ما يحيلنا إلى مفاهيم تتعلق بها بالأساس كمصطلح "التناص.

**1.6 التناص:**

إن البداية التاريخية للتناص كانت مع الشكلانيون الروس من خلال تطرقهم لمفهوم النص الأدبي في تعاملهم معه كوحدة متكاملة لها ميزتها الجمالية الخاصة التي تتشكل بارتباط عناصر النص الداخلية فيما بينها، إلا أنه مع "جاكبسون" و "تينيانوف" تحول إلى الارتباط بالجانب الخارجي، أي دخول الآداب الأجنبية في تشكلاته، من خلال دراستهم لتطور الدراسات الأدبية واللسانية، "وهذا ما يدعو إلى الانفتاح على العالم الخارجي عن النص ودراسة العلاقات التي تربط هذا النص بالنصوص الأخرى، وهو إرهاص من الشكلانيين الروس، تحققت ولادته الفعلية مع "باختين" و"كريستيفا" فيما بعد"[32]. وبما أن التناص هو شكل من أشكال تكوّن النصوص فهو بذلك يشكل مساحة تأويلية تشتغل عليها الهرمينوطيقا الفلسفية بكشف خفايا نصوصها، وقد انتشر مصطلح التناص بشكل كبير في الدراسات النقدية الغربية لاسيما مع "رولان بارث" الذي استعمله في أهم كتبه "كالذة النص"، حيث يقول "كل نص هو تناص والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات مختلفة، وبأشكال ليست عصية على الفهم، بطريقة وبأخرى...فكل نص ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة"[33]. ومن ثم يكون النص عبارة عن مثال لعدت نصوص أخرى تستوجب عملية الفهم والتأويل، باعتبارها نصوصا تحمل جملة من الدلالات المعرفية.

كما يعد "جيرار جينيت" من الفلاسفة السباقين لاحتضان هذا المصطلح بتقسيمه لمفهوم التناص إلى خمسة أنواع:[34]

**1. 1 النصوص الشاملة:** وهي النصوص التي تحاول الرجوع إلى سابقاتها، والتي لا يمكن حسب "جينيت" أن تكون هناك قطيعة معها، بل وجب البحث عن تلك العلاقات التي تربط النصوص فيما بينها.

**1 . 2 المابين نصية:** وهي النصوص التي تتداخل ضمن علاقات حوارية مع عناصر أخرى، بالرجوع إلى ما قبل النص، فهي نصوص تكوّن ذاتها من خلال آليات تشكلها.

**1 . 3 الميثاليسانية:** وهي النصوص التي تتشكل عن طريق علاقتها بنصوص أخرى ليست من نفس جنسها، ككتاب "فينومينولوجيا الروح" لـ"هيغل" والذي يشير حسب "جينيت" بطريقة صامتة إلى كتاب "Le nouveau de rameau"، أي قيام الكاتب بتحوير النص بطريقته الخاصة.

**1 . 4 الشامل النصي:** والتي من خلالها يتبين النوع الذي ينتمي إليه النص، أي أن القارئ هو المحدد لهذا النوع من التناص من خلال مقارنته للنص مع معلوماته السابقة.

**1 . 5 النصية المتفرعة:** وهي النصوص التي تشتق وتتفرع من نصوص أخرى بطريقة المحاكاة أو التحويل، ويسمي "جينيت" النص السابق بالنص الأصل (Hypo texte)، والنص اللاحق (Hyper texte) أي المتفرع. وهكذا تتولد النصوص وفق هذه الأشكال المتعددة من خلال عملية التناص، التي تسمح للمتعامل معها أي القارئ الذي يلعب عدة ادوار مختلفة في التعامل مع هذه النصوص.

كما يمكن القول أن للنص تصورين: الأول ثابت كونه مجموعة من الأبنية المركبة المتفاعلة بينها القابلة للتحليل وفك الشفرات وإعادة البناء، والتحويل، فهي نصوص تشتمل على الدلالات والرموز المتداخلة، مما يجعلها قابلة للتقصي من أجل كسب المعنى، والثاني متحرك كونه إنتاجية - حسب تعبير كريستيفا - تتفاعل داخله مجموعة نصوص سابقة أو متزامنة له، فهو حوار في لممارسات متنوعة، إذ تشكل علاقة نصية بين مختلف النصوص التي تشملها فتنتج أشكالا أخرى من هذه النصوص القابلة للتأويل[35]. مما يسمح باستمرارية هذه العملية التأويلية وبعلاقتها بالنصوص من جديد.

**خاتمة:**

يظهر من خلال ذلك أن مشروع "بول ريكور" الهرمينوطيقي هو ذلك المسعى الذي أراده "ريكور" أن يكون ضمن تيار الفلسفة التأويلية التي تطمح إلى دراسة النصوص لاسيما النصوص الفلسفية، قصد بحث مسألة المعنى وكيفية بناءه داخل النص وفي سياقاته المتعددة، ومن ثم كانت تأويليته عبارة عن تأويلية منهجية تحاول البحث عن الطريق المؤدي إلى المعنى بالشكل الذي يسمح لها بطرق مختلف الميادين التي رسمها "ريكور" عبر مسيرته التأويلية. فكان بمثابة العلم الذي يفسر مختلف النصوص وفق منهج موضوعي صلب، حيث ارتبط بالعلوم المختلفة كعلم الدلالة، واللسانيات، والإبستيمولوجيا

والتحليل البنيوي، وغيرها من العلوم التي تظهر فيها استخدامات النصوص المتعددة، وكذا سياقات الرموز المختلفة. وهذا ما يقودنا إلى طرح تصور واسع لمجال تأويل النصوص، فتكون بذلك الهرمينوطيقا مشروعا فكريا يسعى لتجسيد الفكر التأويلي كما أراده "بول ريكور" من خلال عالم النص.

## الهوامش:

(*)- د/تيرس حبيبة، أستاذة محاضر(ب)، جامعة الشلف، قسم العلوم الاجتماعية والانسانية، شعبة الفلسفة.

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010،ص 158.

2- المرجع نفسه ، ص 159.

3- دوكرو اوزوالد، شافار جان ماري، المعجم الموسوعي الجديد في علم اللغة، ترجمة المهيري عبد القادر، صمّود حّمادي، دار سيناترا، تونس، 2010، دوكرو اوزوالد، شافار جان ماري، مرجع سابق، ص 501.

4- ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، بيروت، (د- ط)، 2007، ص 9.

5- المرجع نفسه، ص 37.

6- دوكرو اوزوالد، شافار جان ماري، المعجم الموسوعي الجديد في علم اللغة، مرجع سابق، ص 501.

7 - بول ريكور، النص والتأويل، ت: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، عدد 3، 1988، ص 37.

8- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 140.

9- بول ريكور، النص والتأويل، مصدر، سابق، ص17.

10- عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، دار النهضة العربية،بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 238.

11 _Paul Ricœur, Soi même comme un autre, Ed Seuil, Paris, 1990,p 36.

12 -Paul Ricœur, Sur la traduction, Editions Bayard, Paris, 2004, p. 17.

13 -Paul Ricœur, Du texte à l'action, Essais d'herméneutique, Ed, Seuil, paris, 1986, P 139.

14- بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة، حسان بورقية، دار عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001، ص19.

15 - Paul Ricœur, Du texte à l'action, op.cit, P 139.

16- أمبرتو إيكو: شعرية الأثر المفتوح، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، مجلة نوافذ، النادي الأدبي، جدة، ع6، 1998، ص 87.

17- Paul Ricœur, Du texte à l'action, op.cit, P 140.

18- عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، مرجع سابق، ص 211.

19- محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص 72.

* - ميّز ريكور في هذا الكتاب بين الاستعارة الحيّة والاستعارة الميتة: "فالأولى يقول عنها بأنها ليست حيّة لأنها تعيد إحياء اللغة فقط، وإنما هي حيّة لأنها تدرج المخيال في مجال "التفكير أكثر"، وبمستوى المفهوم نفسه، أما الاستعارة الميتة فهي التي لا تقول شيئاً، ولا تقدم بديلاً فهي كما يقول ريكور: "هي التي لا تقال ولكنها تختفي وراء المفهوم البديل الذي يقول شيئاً ما". (انظر: عمارة الناصر، الفلسفة والبلاغة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص 150).

20- Paul Ricœur, La métaphore vive, Ed, Seuil, paris, 1975, p: 07.

21- لزهر عقيبي، جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، ص 219.

22- عمارة الناصر، الفلسفة والبلاغة، مرجع سابق، ص 154.

23- المرجع نفسه، ص 155.

24- صابر الحباشة، اللغة والمعرفة: رؤية جديدة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008، ص 77.

25- لحويدق عبد العزيز، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة، ط1، 2015، ص 6.

26- المرجع نفسه، ص 5.

27- صابر الحباشة، اللغة والمعرفة، مرجع سابق، ص 77.

28- Paul Ricœur, La métaphore vive, op.cit, p: 370.

29- حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند ريكور، دار تنمل للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 1992،ص 45.

30- كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص 94.

31- هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل، تر: محمد شوقي زين، منشورات الاختلاف، ط2، 2006، ص26.

32- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص 140.

33- المرجع نفسه، 146.

34- المرجع نفسه، ص 147، 150.

35- المرجع نفسه، ص 140.